

كره العرب للحداذة

بقلم الأستاذ مصطفى جواد [بغداد]

كانت العرب تكره الصناعات ، ومن ذلك القبيل « الحداذة » ، ولا سيما في أول الاسلام ، لأنها إلى البداوة أميل ، وعن الحضارة أبعد ، وازدادت هذه الكراهية في قفوسها ، حينما رأت أن الصنائع من شئون الأمم المغلوبة ، والسيد لا يتدنى مادة إلى شئون المسود ؛ ولاحتقارهم الحداذ قالوا في المثل « إذا سمعت بسرى القين فأصبح » ، وأصله أن الحداذ - على ما قالوا - إذا كسد عمله أنشأ أنه يريد الارتحال ، ولكنه مقيم حقيقة ، فبذلك تتذكر الناس ما يحتاج إلى عمل الحداذ من أشياءهم ويستعملونه لها ، وهذا المثل يضرب للرجل يعرف بالكذب حتى لا يقبل صدقه بل يرد (١) .

وبلغ عمر بن الخطاب - رضى الله عنه - أن أناساً من رواة الأشعار وحملة الآثار يعيبون الناس وينلبونهم في أسلافهم ، فقام على المنبر وقال : « يا أيكم وذكر العيوب والبحث عن الأصول ؛ فلو قلت : لا يخرج اليوم من هذه الأبواب إلا من لا وصمة فيه ، لم يخرج منكم أحد » ، فقام المهاجر بن خالد بن الوليد ، فقال : « إذا كنت أنا وأنت يا أمير المؤمنين نخرج » ، فقال عمر : « كذبت ، بل كان يقال لك : يا قين ابن قين أقعد » ، فقد كان الوليد بن المغيرة - مع جلالة في قريش وتسميته « ربحانة قريش والعدل والوحيد » - حداذاً يصنع الدروع وغيرها ، ذكر ذلك عنه عبد الله بن قتيبة في كتاب المعارف (٢) ، والملاحظ في الغساسن والأضداد ؛ ومن الذين اشتهروا بالحداذة وارتفعوا بالإسلام « خباب بن الارت بن جندلة » ، فقد كان في الجاهلية حداذاً يعمل السيوف (٣) .

وبلغ علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب - عليه السلام - أن عروة بن الزبير وابن شهاب الزهري يتناولان علياً جده ويسبانه ، فأرسل إلى عروة يقول : « أما أنت فقد كان ينبغي أن يكون في نكوص أهلك يوم الجمل وفراره ما يحجزك عن ذكر أمير المؤمنين ، واهه لئن كان « علي » علي باطل ، لقد رجعت أبوك عنه ، ولئن كان علي حق لقد فر أبوك منه » ، وأرسل إلى ابن شهاب ، فقال : « وأما أنت يا ابن شهاب ! فما أراك تدعني حتى أعرفك موضع كبر أهلك (٤) » ؛ والكبير - كما هو معروف - منافخ الحداذ ، فانظر كيف عد الحداذة عيباً ، وجعل الدلالة على موضع الكبر مقطوعاً لفخره ومجده ، وقال الأخطل بمدح سماكا الأسدي ، ولكنه ذمه :

(١) جبهة الامثال لابي هلال العسكري ص ٦ . (٢) شرح ابن أبي الحديد ج ٣ ص ٢٤ . (٣) الشرح

المذكور ج ٤ ص ٢٦٣ . (٤) كتاب الصنائع لصاحب جبهة الامثال ص ١٣ .

نعم الجبير سماك من بني أسد بالطف إذ قتلت جيرانها مضر
قد كنت أحسبه قيناً وأنبؤه فالיום طير عن أثوابه الشرر
وكل مراده أنه لم يكن حداداً ، ولو اقتصر على البيت الأول لكان ذلك أرفع ، وقال
نهشل بن حري يذم الحداد وخلقه :

وعهد الغانيات كعهد قين وت عنه الجمائل مستذاق
وسبب ذلك عندهم ، أن الحداد إذا أتى قوماً أحسن لهم الأعمال في أول أمره معهم حتى
يدوقوا منه ذلك فيأتونه ، ولكنه لا يجيد العمل بعد ذلك لهم .

وكرهاة العرب لهذه الأعمال ليست من الدين على شيء ، ويوضح لك ذلك قول الإمام
علي بن أبي طالب - في عهده - إلى مالك الأشتر النخعي - حينما ولده على « مصر » وأعمالها - ونصه :
« ثم استوصى بالتجار وذوى الصناعات ، وأوصى بهم خيراً : المقيم منهم ، والمضطرب بماله ،
والترفق بيده ، فإنهم مواد المنافع وأسباب المرافق . . . » كما هو مبسوط في نهج البلاغة .
وإذا عرفنا القراء بهذه الحقيقة لم نجد في صدرنا حاجة إلى ذكر شواهد أكثر مما قدمنا ،
ولا سيما وأن هذه الكراهة زالت عند زول العرب إلى الأعمال وإيغالها في الحضارة ، وقد
اشتهر في التاريخ : شعراء ، وفقهاء ، وصوفية ، وزهاد ، وكلهم حداد ؛ والمعجب من القوم
كرهم لما لا بد لهم منه ، ولا غنى لهم عنه ، وكانوا يكرهون الحجامه أشد الكراهية ،
ولسكنهم محتاجون إليها ؛ وكنا قد كتبنا في « لغة العرب » بحثاً طريفاً في « كره العرب للحياكة »
وأكثرنا من أخباره .

مصطفى جواد

[بغداد]

[بقية المنشور على الصفحة رقم ٩٦١]

المادة ٧٤ - قانون القصر السلطاني لا يعرض على المجلس لتغييره أو البحث فيه ، وليس
في هذا الدستور مادة يستطاع بها تغييره .

المادة ٧٥ - لا يغير هذا الدستور ، ولا قانون القصر السلطاني ، ولا يحور ، إذا لم
يكن السلطان بنفسه ، بل كان نائبه .

المادة ٧٦ - كل الأحكام القانونية ، والقوانين والأوامر السلطانية التي لا تخالف هذا
الدستور يبتى معمولاً بها .

كل المعاهدات الموجودة ، والتي تمود مسئوليتها على الحكومة ، والتي تتعلق بالمصروفات
داخلة تحت المادة (٦٧) من هذا الدستور .

(للبحث بقية)

إحسان سامي حتى

[عليكرة الهند]